النهضة القومية

فى ذكرى المليك الراحل [1]

للأستاذ محمود محمد صادق

تحتفل البلاد اليوم بذكرى عاهلها العظيم. مليكها الراحل الكريم. المغفور له فؤاد الأول — فتمر بالاذهان ذكريات عهده الحافل . المليء بجلائل أعماله ، الزاخر بأياديه ومآثره .

حقا لقد كان ملكا قديرا بكل معانى الكلمة . سمت فيه الرجولة إلى أعلا مراتبها فهى الحزم والعزم والغيرة والإباء ، وعلت فيه الحكمة إلى أبعد شأوها فهى اللين والوداعة والعطف والكرم — كان ربان سفينة البـــلاد فى عهد طافح بالأحداث والمدلهمات ، تتناوبه الزعازع والأعاصير ، وتهب فيه الأقدار من جهات البلاد الأربع . فكان رحمه الله ميزان حسن التوجيه وسداد الرأى . هـذا العهد الطافح بالأحداث كان يتمخض عن ميلاد أمة و بعث شعب . شعب عريق فى المجد يطلب مكانه تحت الشمس. يطلب الحرية فى الخارج والداخل يطلب السيادة و يطلب الدستور . فى إثر حرب عالميـة عبثت بكل الأوضاع وخلال أزمات نفسية وفكرية واجتماعية واقتصادية آخذ بعضها بخناق بعض . فكان رحمـه الله ذلك النسر الباسط جناحيه على أبنائه ، يظلها تارة و ينهض بها تارة أخرى . كان الأب الحنون الرحيم ، الشجاع المكافح — لا يهدأ ولا يستقر إلا أن يرى طيره وقـد اكتمل نموه وصفق بأجنحته فى عنان الأجواء. و إلا أن يرى راية البلاد خفاقة فى مشارق الأرض ومغاربها تحتل مكانها من كبد السماء.

ذلك المليك السياسى القدير — كان العـالم المشجع للعلم — كان المصلح الاجتماعى الأول — كان رحمه الله ممسكا بقبضة يده بكل خيوط النهضة يجذب و يرخى كلا منها بقدر فى اللحظة المواتية والفرصـة الآخذة الرابحة ، فى حنكة و بعد نظر وصواب بصيرة — فاذا ذكرنا اليوم مليكنا الراحل فانما نذكره ربانا للبلاد وأبا لهذا الشعب الوفى .

وضع رحمـه الله أسس النهضة على أمتن القواعد وأوطد الدعائم ، و بقى على الأجيال المتعاقبة أن تنهض بالبناء وأن تستكمل الصرح — بقى علينا نحن المصريين أن نتعهـــد هذا البناء بأسباب الوقاية من كل عبث وضعف وأن نعلو به طابقا بعد طابق — هذا الواجب القومى يجب أن يتكاتف الجميع على أدائه متعاونين متساندين مخلصين ، ذلك أن قضية الوطن فى أيدينا ، وأن جهود المجاهدين السابقين إنما هى أمانة فى أعناقنا ، ووديعة نحن مسئولون عنها أمام الله وأمام ضمائرنا وأمام الأجيال القـادمة ، وما مثلنا إزاء هـذا المعترك الدولى الصاخب بالتياس إلى عظمة الأمم و إلى سعة رقعـة الأرض إلا كقارب صغير فى محيط مضطخب تعاوره هوج الرياح فلا أمان ولا اطمئنان إلا أن يوجد تعاون وثيق قلبى بين جميع ملاحيه ، وطاعة خالصة متدفقة لربان هذا السفين حتى يسير قدما إلى بر النجاة .

---

[1] أذيعت بمناسبة الاحتفال بذكرى المغفور له الملك فؤاد الأول يوم ٢٨/٤/١٩٤٥

الاتحاد أو تذهب ريحنا — النظام والطاعة أو تعم الفوضى . الإخلاص والثقة أو تتخاذل القلوب والضمائر — العدل والإنصاف أو يسود الحقد والكراهية . القناعة والتضحية أو يستشرى الجشع والأنانية . التراحم والبر أو تستفحل القوة وتغلى مراجل النفوس .

ذلك أن الأمم لم تعد تعانى الخطر من خارجها بقدر ما تعانيه من داخلها ، باتت تعانى مشاكل الطبقات والأحزاب والمبادئ الاجتماعية والاقتصادية المتنافرة . هـذه المشاكل سوف تعيش لتكون حرب ما بعد الحرب ، فما بالك بأمة تجاهد لاستكمال استقلالها إذا نشبت فيها العلل والآفات أو تركت بذورها لتنمو ، وهى بعد فى مستهل حياتها الاستقلالية ، إن كل طعنة فى الظهر أو علة فى الأحشاء لن تدع جنديا يستقبل الميدان بصدر عامر بالشجاعة والإقدام . يجب على هذه الأمة أن تطرح وراء ظهرها كل خلاف لتستقبل أمم العالم بوجه طافح بدم الحياة وحرارة المعتز الواثق حتى يرتفع صوتها عجلا يوم تقرير المصير .

يجب أن نتعلم كيف نرتب مشاكلنا وأن نضع فى المرتبة الأولى مشكلتنا القومية ليكون لها الحل الأول ، حتى إذا ما فرغنا منها كان لنا من سعة الوقت وسلامة القصد ما يكفل باقى الحلول . ذلك أن مشكلتنا القومية تستهدف الآن وقتها الطبيعى بل فرصتها الذهبية ، وإنه لما يطعن فى وطنية كل مواطن ألا يتناسى كل اعتبار إزاء مطلب البلاد الأسمى .

علينا بانكار الذات . علينا بتضحية الأغراض والشهوات . علينا بتضحية كل شىء لنصل الى أهم شىء . الى اعتراف العالم لمصر بما لها من ذات مكتملة وشخصية جديرة بكل اعتبار و إكبار ، وغنى النفس أننا ضحينا بالقليل من أجل الكثير و بالعرض الزائل من أجل المجد الخالد ، هذا المجد الذى سوف يضاعف من شخصيتنا إزاء العالم أجمع ، ويجعل كل مصرى يفخر بأنه مصرى .

نريد الاستقرار فى كل شىء . نريد أن تستقر أعصابنا وأن تهدأ نفوسنا وأن نزن الأمور بميزان العقل الهادئ المدبر ، نريد أن نستقر فى عواطفنا الجامحة فلا نحتكم إلا الى الضمير النزيه القانع ، نريد على الأقل أن يتهادد أبناء العمومة حيال كل طريب وأن نسوى أمورنا بعد أن نخلو الى أنفسنا — (١) نريد أن يستقر بينه وبين نفسه قبل أن يستقر بينه و بين غيره . لأن استقرار النفس هو أساس التفكير السليم والتصرف الحكيم وليس كامتلاك زمام النفس مولد طبيعى لحرارة العزم والحزم و شجاعة والإقدام وهى أسس كل نجاح .

أما ما نشهده اليوم فى مجتمعنا من السلوك المرتجل والتصرف العابر الحائر ، فليس مثله سلوك يؤدى الى الفوضى ، الى زعزعة الثقة بمقاييس الأمور وعدالة الأوضاع .

---

(١) نريد أن يستقر كل مصرى فى نفسه وفى عمله وفى علاقته وبنوداته وروحانه وحديثه وتفكيره .

هذه الفوضى وهذا الارتجال نجده فى تصرفاتنا كل يوم ، نجده فى البيت وفى الطريق وعند الموظف والتاجر والصانع والعامل — نجده فى جميع هيآتنا وجماعاتنا وفى مختلف الطبقات وعلى مختلف الوجوه — كأن ليس هناك من ضابط ولا قيد ولاحد — كأنما الحياة انتهاز الفرص وإرضاء الشهوات ومجاراة الأغراض — ولا يكاد يحد من هذه المغاصرات الا المظهر ، مظهر تحاشى أغضاب القانون والعرف وتحاشى إثارة النقد ، أما بيننا وبين ضمائرنا فليس للجوهر ذلك الاعتبار الخليق باحترام النفس والانتساب الى الانسانية. وشتان بين رجل يحترم القانون ورجل يخافه — وشتان بين رجل يتحامى نقد المجتمع ورجل يفنى فى خدمته كل عصارة قلبه — وشتان بين رجل يخاف الله ورجل يخاف الناس — بل شتان بين رجل يحترم نفسه ورجل يعيش بالوجهين.

وأخيرا إن ماندعو اليه هو ذلك الشيء الذى خلق من أجله الإنسان — أن يكون الإنسان كريما على نفسه كريما على المجتمع كريما لبلاده — وأن يعرف أن هذه الحياة الفانية ليست إلا فرصة لازدهار الروح الانسانى وبلوغها خطوة الى الأمام فى معارج الكمال يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

سادتى . ليس هذا بحديث : حديث التخلق بالأخلاق القومية ، بالجديد ولا بالغريب على الآذان والأسماع ، لأنه حاجة الساعة . ولسان الواقع الملح ، وترجمان الحقائق الراهنة طالما هتف به فقيد البلاد الكريم . الذى نحتفل اليوم بجليل ذكراه ، وطالما ردده شيله العظيم . الذى نعقد عليه كل آمال المستقبل — ولأنه أيضا حديث كل قلب مصرى مخلص للبلاد . هو حديث الملوك وحديث الرعية ، حديث القادة وحديث الزعماء ، حديث كل محب لمصر الخالدة العاتية .

وختاما أتوجه من أعماق قلبى الى الجدث الطاهر . جدث مليكنا العزيز الراحل . استمطر له أندى شآبيب الرحمة فى هذه الذكرى العزيزة على قلب كل مصرى .

والى جلالة شبله العظيم ، مليكنا المفدى فاروق الأول بأخلص آيات العزاء المجدد ، والى هذه الأمة التى عقدت كل عزائمها على شبابه الزاخر بأعظم الآمال الحافل ، بمفاخر الأجيال ، سائلا الله أن يمد فى حياة الفاروق ، حتى تشهد البلاد على يديه تمة ماصبت اليه روح فقيدنا العظيم .

محمود محمد صادق

مدير الدعاية والارشاد

بوزارة الشؤون الاجتماعية